

“شهادة لمن يثق في شهادتي في حقّ الإنسان أنس الحمادي وفي بؤس معارك الأطفال”



مدخل عاطفي

ما أجمل ان نخوض معاركنا الوهمية والحقيقية والعادلة والذّهانية والتكتيكية والاستراتيجية والخيرة والشريرة وكلّ أصناف المعارك والحروب الّتي نخلقها أو تخلقنا... بشرف ومروءة... فالحروب والمعارك والتناقضات هي أدوات ضرورية لتعبئة فراغنا "الكوسموسي" المطلق وهي تدرجات ألوان زاهية وحيّة لمجابهة ملل اللون الرّمادي الّذي يطبع حياتنا..

ولكن...

يخبو إيقاعها وتتوقّف عن ترتيب أثرها "الكلينيكي" المنشود بمجرد أن تصبح سهلة أو غير متكافئة على الذّجو الّذي تفقد معه مزيّة

الإثارة... ولا يمكن لحرب أن تكون مثيرة إذا فقدنا أثناءها لذّة احترام أنفسنا لحظة الصّراع... ولن نحترم أنفسنا (سرّاً) إذا تحايّلنا على قواعد اللّعبة... والتجذّي خرق في شكل خطيئة أصلية...

شيء من جوهر الموضوع

السيدة ليلي بحرية مناضلة حقيقيّة زمن الّذي عزّ فيه الصّراط بصوت عال بحضرة رئيس شعبة من شعب الحزب الحاكم، وهي جديرة بكلّ أسباب الاحترام مثلها مثل كلّ من ثبت على الموقف واستحقّ صفة تاريخية يطلق عليها: "عضو الهيئة الشّرعية لجمعية القضاة" ومنهم أحمد الرّحموني ونورة حمدي وكلثوم كدّو وحمّادي الرّحماني وفتحي القلاع ووسيلة الكعبي وآسيا العبيدي والمرحوم عبد الباقي كريد وروضة القرافي وتوفيق سويد وعمر الوسلاتي وأيضا أنس الحمادي... وغيرهم كثير... ولكن ما ذكرته السيدة بحرية في حقّ أنس الحمادي هو جانب للحقيقة وفنّده شهود عيان من ثقاته من عاشوا محنة الحوض المنجمي وعلى رأسهم أحد قادتها المؤرّخ عبيد الخلفي والقضاة حمادي الرّحماني ومحمّد الخلفي وعمر الوسلاتي وغيرهم.. بل بالعكس تماما... أنس الحمادي كان وراء صدور أحكام مخفّفة ضدّ رموز ثورة الحوض المنجمي وحكم شهير ببطلان الإجراءات... عن نفسي أصمت عندما يتكلم الفاهم بكدّوس وعبيد الخلفي... قد نختلف مع أنس حول الرّؤى وأدوات تحقيقها ولكن لا يمكننا بأيّ حال من الأحوال أن ننال من خصاله ومن جوهره بسبب بيان لجمعية القضاة..

ولكنّ الأمر يتجاوز الحنق على أنس الحمادي ليلحق لجمعية القضاة في خضمّ مشاغلنا اليومية في اِفتراس بعضنا البعض، محامون وقضاة وعدول، ننحدر بمعاركنا التّفاهة إلى نقاط التّماس مع الهاوية والعدم... والإخفاء الأعمى... فما نذهب إليه جميعنا من حروب انفصالية مضحكة يدرّس في أعرق مداس العبث: العقلاء لا ينتظرون إلاّ التّناقض المؤطر بين هياكل المحامين وهياكل القضاة نظرا لتناقض طبيعة الأدوار والتمثّلات والترسّبات التّاريخية... بالمقابل طبيعة المرحلة ومرارة ماضي الاستبداد ونجاح فترات الالتحام بين المكوّنين الرّئيسيين في إحراج النّظام النّفومبري وفضح عصاباته وانحرافات الدّولة المارقة، والفهم العميق لدور العدالة كسلطة وسلطة مضادّة ضرورية لترسيخ المواطنة ودولة القانون، لا زالت تحتّم ضرورة خلق

أطر جدية لتحسين حوكمة الخلافات والحيلولة دون تحقيق مطامع كمبرادور السلطة... ولكن يبدو أننا استسهلنا أدوات العوام... لننزل إلى أعماق حفر السباب والشتم...!

على هامش هذه المعركة تنعت جمعية القضاة بأنها جمعية "القحاب"... هكذا ببساطة... ويدعوها أحد هياكل المحاماة للاكتفاء بدورها الاجتماعي والترفيحي!

تذكير لاسترجاع شيء من أمانة التاريخ

أول اصطدام بين نظام بن علي وبين جمعية القضاة كان على خلفيّة تصريحات علي الشّاوش الأمين العامّ لحزب التّجمّع المنحلّ الذي شتم القاضي المرحوم المختار اليحياوي إثر رسالته المفتوحة لبن علي حول استقلال القضاء والحريّيات وسيادة القانون. وقد وصف بيان الجمعية آنذاك المذيل بامضاء نائب رئيسها أحمد الرّحموني تصريحات علي الشّاوش بكونها تشكّل في جانبه كافّة أركان جريمة القذف العلني... ثمّ ثاني اصطدام عنيف كان بمناسبة إصدار الجمعية لبيان 2 مارس 2005 الشّهير على إثر الانتهاكات التي لحقت المحامي الأستاذ محمّد عبّو... تذكيرا بأنّ القضاة آنذاك، وفي ذهن بن علي ونظامه، هم مجرد "خمساسة" لا غير...

جمعية القضاة منظّمة وطنية تناضل من أجل استقلال القضاء وسيادة القانون والحقّ الأصلي في المحاكمة العادلة في ظلّ دولة مدنية تصون الحقوق والحريّيات، وواهم من يتخيّل أنّه يمكن له أن يرسم مربّع تحرّكها ويختزله في جمعية ترفيحية أو ما شاكل... وليتذكّر من يرميها بالسّكترية والشّوفينية أنّها توصم لدى معارضيها داخل القضاء بأنّها جمعية المحامين لا جمعية القضاة...

جمعية القضاة "مش على راسها ريشة" وهي في هذا السّياق خاضعة لرقابة داخلية صارمة من طرف القضاة حتّى من بين غير منخرطيها وهي أيضا خاضعة لمراقبة ديمقراطية مواطنية لأنّها تقدّم نفسها على أنّها منظّمة وطنية...

في المحصلة

. بالقضاة والمحامين أمراض لا تليق بهم ولا بهياكلهم ولا بدولة
محترمة ولا بحلم المستضعفين بعدالة لا تعاني أمراض جنسيّة منقولة.
. أنس الحمادي رئيس جمعية القضاة مثال في الذّاهة والاستقامة
والذّالية.. من حقك أن تناقش أداءه على رأس جمعية القضاة ولكن
لا ترمه بما ليس فيه.
. السّباب والشّتيمة أمور سهلة.. هناك أشياء أصعب... منها إنضاج
رؤى حول أجهزة وآليات فضّ المنازعات
. غدا هناك معارك ستودّنا فلنترك مجالاً للحدّ الأدنى من الودّ
والاحترام
. هناك من يسعى لعزل القضاء عن محيطه الطّبيعي لإضعافه والذّيل من
استقلال قراره وهناك من يسعى للذّيل من المحاماة... ففكّر جيّداً
قبل الشّتيمة...

(بقلم القاضي عياض الشّواشي)